

## أضواء البيان

. @ 25 @ .

وقد أطال السيوطي في المزهرة الكلام في هذه المسألة ، نقلاً عن ابن فارس الشديقي . .  
وعن العسكري عن الأوائل في ذلك أقوال ، ففيل إسماعيل ، وقيل : مرار بن مرة ، وهما من  
أهل الأنبار ، وفي ذلك يقول الشاعر : وعن العسكري عن الأوائل في ذلك أقوال ، ففيل  
إسماعيل ، وقيل : مرار بن مرة ، وهما من أهل الأنبار ، وفي ذلك يقول الشاعر : % ( كتبت  
أبا جاد وخطى مرامر % وسورت سربالي ولست بـكاتب ) % .  
وقيل : أول من وضعه أبجد ، وهوز وحطي ، وكلمن ، وصعفس ، وقرشت ، وكانوا ملوكاً فسمي  
الهاء بأسمائهم . .

وذكر عن الحافظ أبي طاهر السلفي بسنده عن الشعبي قال : أول من كتب بالعربية حرب بن  
أمية بن عبد شمس ، تعلّم من أهل الحيرة ، وتعلم أهل الحيرة من أهل الأنبار . .  
وقال أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف : حدثنا عبد الله بن محمد الزهري حدثنا  
سفيان عن مجالد عن الشعبي قال : سألت المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا :  
تعلمنا من أهل الحيرة ، وسألنا أهل الحيرة : من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا : من أهل  
الأنبار ، ثم قال ابن فارس : والذي نقوله إن : الخط توقيفي ، وذلك لظاهر قوله تعالى : {  
الَّذِينَ عَلَّمُوا بِآلْقَامِ \* عَلَّمُوا الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } . .  
وقوله : { ن وَالْقَلَامِ وَمَا يَسْطُرُونَ } . .  
وإذا كان هذا فليس ببعيد ، أن يوقف آدم أو غيره من الأنبياء عليهم السلام على  
الكتابة ، فأما أن يكون شيئاً مخترعاً اخترعه من تلقاء نفسه ، فهذا شيء لا نعلم صحته  
إلا من خبر صحيح . .

قال السيوطي : قلت يؤيد ما قاله من التوقيف ، ما أخرجه ابن شقة من طريق سعيد بن جبير  
عن ابن عباس قال : ( أول كتاب أنزله الله من السماء أبا جاد ) . .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي ذر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( أول من  
خط بالقلم إدريس عليه السلام ) . . . .

وقد أطال النقول في ذلك مما يرجع إلى الأول ، وليس فيه نقل صحيح يقطع به . .  
وقد أوردنا هذه النبذة بخصوص كلام ابن فارس ، من أن تعليم الكتابة أمر توقيفي ، وما  
استدل به السيوطي من أول كتاب أنزله الله من السماء ، فإن في القرآن ما يشهد لإمكان ذلك ،  
وهو أن الله أنزل الصحف لموسى مكتوبة . .

وفي الحديث ( إن ا كُتِبَ الألواح لموسى بيده ، وغرس جنة عدن بيده ) . .  
وإذا كان موسى تلقى ألواحاً مكتوبة ، فلا بد أن تكون الكتابة معلومة له قبل إنزالها ،  
وإلاَّ لما عرفها . .

أما المشهور في الأحرف التي نكتب بها الآن ، فكما قال السيوطي في المزهر ، ونقله عنه  
صاحب المطالع المصرية ما نصه : .

المشهور عند أهل العلم ما رواه ابن الكلبي عن عوانة ، قال : أول من كتب بخطنا هذا .  
وهو الجزم مرامر بن مرة ، وأسلم بن سدره ، وعامر بن حدره . كما في القاموس . وهم من  
عرب طيء تعلموه من كتاب الوحي لسيدنا هود عليه السلام ، ثم علّموه أهل الأنبار ، ومنهم  
انتشرت الكتابة في العراق والحيرة وغيرها ، فتعلمها بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد  
الملك صاحب دومة الجندل ، وكانت له صحبة بحرب بن أمية فتعلم حرب منه ، ثم سافر معه بشر  
إلى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب أخت أبي سفيان . فتعلم منه جماعة من أهل مكة . .  
فبهذا كثر من يكتب بمكة من قريش قبيل الإسلام . .

ولذا قال رجل كندي من أهل دومة الجندل ، يمن على قريش بذلك : ولذا قال رجل كندي من  
أهل دومة الجندل ، يمن على قريش بذلك : % ( لا تجحدوا نعماء بشر عليكم % فقد كان مَيمون  
النقيبة أزهر ) % ( أتاكم بخط الجزم حتى حفظتموا % من المال ما قد كان شتى مبعثرا )  
% ( وأتقنتموا ما كان بالمال مهما % وطأمنتوا ما كان منه مبقرا ) % ( فأجريت  
الأقلام عوداً وبدأة % وضاهيتم كتاب كسرى وقيصرا ) % ( وأغنيتم عن مسند إلى حميرا %  
وما زبرت في الصحف أقلام حميرا ) % .

قال : وكذلك ذكر النووي في شرح مسلم نقل عن الفراء ، أنه قال : إنما كتبوا الربا في  
المصحف بالواو ، لأن أهل الحجاز تعلموا الخط من أهل الحيرة ، ولغتهم الربوا ، فعلموهم  
صورة الخط على لغتهم . ا هـ .